

عملية "كانتات" (Cantate) (1)

ترجمة أ. أحمد شقرون
جامعة الجزائر

في جانفي 1956، تحصل الكولونال مورلان على الإذن المبدئي من السلطات المختصة، لا سيما الجنرال لوريو القائد العام بالجزائر. وفي الحال شرع المُقَدِّم دوكورس (Decorse) والنقيب كروتوف (Krotoff) في تشكيل وحدة خاصة أطلق عليها اسم "الفرقة الخفيفة للتدخل" (G. L. I.)، المستقلة عن فرقة الـ "G. M. n° 11"، المتمركزة بالجزائر، والتي سيعُهد إليها بتنفيذ المهام الخاصة.

آلت النقاشات المطولة إلى تحديد الهدف الأول: القضاء على مصطفى بن بولعيد، قائد الولاية الأولى*. إن اختيار القائد لم يخلُ من نوايا خفية، فإن بن بولعيد يعتبر مسؤولاً هاماً لجبهة التحرير الوطني بالشرق الجزائري منذ بداية التمرّد (Insurrection). فعقب اعتقاله من قبل قوى حفظ الأمن، فرّ من سجن قسنطينة بحيث تسببت ملابسات فراره في اتهام شخصيات مدنية وعسكرية لها علاقة مباشرة بالسلطة السياسية.

* قائد الولاية الرابعة في النص الأصلي، ويُرجّح أن يكون الخطأ مطبعياً (المترجم)

ومنذ ذلك الحين ما فتئ تأثير مصطفى بن بولعيد ودوره في تنظيم المتمردين يتضاعفان. فكل ذلك يبعث على تصفيته.

يَعُودُ تَصَوُّرُ هذه العملية إلى "مصلحة العمل" (Service Action)، حيث يتعلق الأمر بالعمل على إيصال جهاز راديو مُفَخَّخ إلى هذا الأخير. إن النقيب سيلنك (Selincq) المتخصص في الأجهزة والمُلَقَّب، من قِبَل رفاقه بـ "السَّاحِر"، هو المكلف بالإنجاز التقني للجهاز المستعمل: جهاز راديو للجيش "محشو" بالبلاستيك يتفجر عند تشغيله. يتم إيصال الجهاز بواسطة إنزال تقوم به إحدى طائرات التشكيلة التابعة لـ "مصلحة التوثيق الخارجي والتجسس المضاد" (E.C.S.D) بالتنسيق مع "الفرقة الخفيفة للتدخل" العاملة بالأرض.

ستوضع هذه الوحدة تحت إمرة النقيب كروتوف (Krotoff)، بمساعدة النقيب إيروارت (Erouart) من الفيلق الحادي عشر للاقتحام وهو من قدماء محاربي الـ (G. C. M. A) .

تتألف هذه الوحدة من حوالي 30 عسكرياً ينتمي ضباطهم إلى "الفرقة العسكرية رقم 11" (G. M. n° 11)، ويؤطر هؤلاء العساكر ضباط احتياطيون متطوعون تكونوا في ساركوت (Cercottes)، و ثلاث ضباط عاملين من قُدماء الهند الصينية.

حَلَّت الفرقة الخفيفة للتدخل (G. L. I.) بالجزائر في نهاية فيفري.

كان الأمر يقتضي الاندماج في الترتيبة العسكرية (Dispositif militaire) القائمة بسريّة تامة. فلا ينبغي الكشف عن الوحدة وعن كل اشتباه حول الدور الذي ستلعبه بالناحية، إذ كان عليها تحديد الهدف بدقة متناهية.

اتصل النقيب كروتوف بالجنرال بارلانج (Parlange) قائد منطقة جنوب قسنطينة، ثمّ بالجنرال فانوكسام (Vanuxem)، المسؤول عن قطاع الأوراس النمامشة الموصوف بالصعب، في فاتح مارس، ودون الاتصال بالفرقة العسكرية رقم 11 (G. M. n° 11) العاملة بالقبائل. لقد التحقت الفرقة الخفيفة للتدخل، المغفلة الهوية، بالشرق الجزائري في اتجاه خنشلة، حيث ستعمل، في مرحلة أولى، انطلاقاً من تبرقة (Taberdga)، مع مُرتزقة الكلونال روسي (Rossi) من فرقة الـ "13^e D. B. L. E".

في يوم 9 مارس، شارك رجال النقيب كروتوف في المعركة، بالجنوب الشرقي بالعمرة، إلى جانب مرتزقة الكتيبة الثانية التابعة لـ "13^e D. B. L. E". هؤلاء المرتزقة الذين يتباهون باحترافهم العسكري [...] .

تعدّ الجماعة المتمردة المبلّغ عنها هامة، مُسلّحة تسليحاً جيّداً، ومعروفة بشراستها. دخلت في الاشتباك مع الفرقة الخفيفة للتدخل (G. L. I.) فحُمي الوطيس وجرح المرشح نوار كلارك (Noir Clerc) وأصيب العريف الأوّل فوست (Fosset) بإصابة خطيرة في عموده الفقري ولقي النقيب كروتوف حتفه خلال الاقتحام المظفر مع رجاله. وكان ذلك على الساعة العاشرة من يوم 9

مارس 1956.

إذا كان مظلي فرقة الاقتحام الحادية عشرة قد برهنوا على بسالتهم، يبقى عليهم تنفيذ المهمة التي أنيطت بهم. هذه المهمة التي سينجزها النقيب إروارد خليفة النقيب كروتوف.

يومان من بعد، في تبرقة، حمل الكولونال مورلان الأخبار الأخيرة المتعلقة بتفصيل العملية والصور الجوية اللازمة.. كان مركز قيادة بن بولعيد موجوداً بناحية منعة، في قلب الأوراس، على بعد 100 كلم غرباً. ستجرى العملية المسماة "كانتات" يوم 17 مارس. وكان مركز منعة العسكري في يد الكتيبة الثالثة التابعة لـ "III R. E. I. 3". إن تواجد اللفياف الأجنبي في القطاع كان علامة خير. توجد منطقة الإنزال (Largage) على 800 م شمال المركز من حيث يمكن مراقبتها. تتجه الطائرة من الغرب نحو الشرق، على ارتفاع 1000 م بسبب التضاريس. ستقوم الطائرة بثلاث طلعات ابتداءً من الساعة الخامسة ونصف زوالاً. سيتم إنزال الطرد المعني في الطلعة الثالثة من طرف الطائرة الحاملة للرمز اللاسلكي "جولي" "Julie"، وكان الرمز اللاسلكي لفرقة التدخل الخفيفة هو "الفهد" (Panthère).

لقد برّر إروارد للكولونال توما (Thomas)، قائد الـ "III R. E. I. 3"، وبدون تفصيل، التواجد غير العادي لوحده بقطاع الكتيبة الثالثة.

إن رواية اشتباك العمرة قد بلغت أسمع مرتزقة منعة، وعليه كان

عملية "كانتات" مارس 1956 فرقة الاقتحام الحادية عشرة تفقد جهاز راديو ومجاهد
يفقد حياته

استقبال أفراد الفرقة الخفيفة للتدخل استقبالا ودياً ، مع أن الكثير منهم كان يتساءل عن وجود هذه الفرقة الغربية. إن مساهمة هؤلاء مساهمة فعالة في مختلف الدوريات المشتركة خلال يومين ، عملت على توطيد العلاقات الودية بين أفراد الوحداتين.

على الساعة الخامسة زوالاً ، يوم 17 مارس ، كما جاء في أمر عملية مورلان (Morlanne) ، وضع الملازم الأوّل فالوري (Vallauri) المعالم (Balisage) الاجرائية. ريش أغلبية رجاله حول منطقة الإنزال ، بينما تأهّب الآخرون ، من خلال مركزهم ، للتمتع بالمشهد ، فالتسلية قليلة بالأوراس.

لقد تم الاتصال اللاسلكي بسهولة بين الطائرة المنطلقة من بسكرة والوحدة المرباطة بالأرض. وعلى الساعة الخامسة و25 دقيقة زوالاً ، لاحت الطائرة القادمة من الغرب على ارتفاع حوالي 1000 م. فهذا الارتفاع لن يسمح فقط بتدراك مخاطر التضاريس بل سيبرّر عدم دقة محتملة في الإنزال.

كان الاتصال اللاسلكي مقتضياً بين الملازم الأوّل شوميان (Chaumien) ، المكلف بالإنزال (Largueur) بـ "مصلحة العمل" والنقيب إروارت (Erouart) : كل شيء على ما يرام (O. K.) بين الطرفين.

يوم 19 مارس على الساعة الخامسة ، غادر إروارد وفرقته منعة ، ولم يرفع الستار عن سر "كانتات" ، ولو للجُند (Troupe). لا بد من انتظار عدة أسابيع لمعرفة النتائج. في المرحلة الأولى ، استغرب القادة ورجال الاستعلامات من اختفاء

مصطفى بن بولعيد على ساحة العمليات بالشرق الجزائري. إن انشقاقات داخلية قد تكون وراء اختفائه. وفعلاً هناك عداوة دفينية بين بعض قادة الثورة الجزائرية الشيء الذي أدى بأحد مسؤولي الأوراس إلى الالتحاق بالقوات الفرنسية. لقد أكد هذا الأخير أن بن بولعيد والعديد من أصحابه قُتلوا من جراء انفجار غامض.

ولم يمض وقت طويل حتى فرّ رقيب جزائري من كتيبة الرّماة. وبعد اعتقاله من طرف قوات الأمن أعطى تفاصيل في هذا الشأن، مفادها أن مركز القيادة لقائد الولاية كان بالفعل بالواد الأزرق على بعض كيلومترات من منعة.

إن بن بولعيد، الذي علم بعثور أصحابه على طرد أنزله الفرنسيون وهو يحوي جهاز راديو قد أعطى أمراً لكي يحمل له هذا الطرد فوراً.

وتعبيراً عن فرحته بهذا الحظ، سارع بن بولعيد إلى محاولة تشغيل هذا الجهاز وبمجرد تشغيل المولد انفجر كل شيء. لقد كانوا ستة في المشتى مع بن بولعيد. وكان في عددهم رتباء وتقنيان إثنان. فلم يبق منهم سوى أشلاء ملطخة بالدماء (...).

لقد تبين أنه من الصعب تكرار عملية "كانتات"، إذ فهمت كل من باريس وفرقة الاقتحام الحادية عشرة أنه ليس للسلطة العسكرية الذهنية المنشودة بغية استعمال فعال لمصلحة "العمل".

إن الأمر سيقصر على إقامة جهاز خاص، في الجزائر، غير تقليدي في
تصوره ومناهجه: الفرع أ (بالنسبة للعمل) التابع لمركز التنسيق لمختلف الأسلحة
(C. C. I.) تكون له تفرعات في شرق وغرب الجزائر، بعملائها، وتقنياتها ... لكن
هذه قصة أخرى.

المرجع:

-Trésor du Patrimoine, n° 3, juillet – Août 2002, Paris, pp. (14 –16).